أسمير حتى بعد أن حم القضاء

قصيدة رثاء لصديقي سمير------

أســـمير حتـــى بعـــد أن حـــم القضـــاء وعبـــرت أمالـــك الســـماء إلـــى الســـماء
وبكـــــى أســـــاطير الأســـــاة علـــــيلهم مازلـــــت آمـــــل أن تكلـــــل بالشـــــفاء
وتعـــود يـــا زيـــن الشـــباب بصـــحة وتعـــيش ترفـــل بالســـعادة والهنـــاء
ونعـــــود نضـــــحك كلمـــــا ذكرتنـــــا بحكايـــة الـــداء العصـــي مـــع الـــدواء
ونعـــود نضـــحك مثـــل ســـابق عهـــدنا كـــل النهـــار مـــن الصـــباح إلـــى المســـاء
أســـمير يـــا قمـــرا تســـامره ملائكـــة الســـماء علـــى المـــودة والصـــفاء
مازلـــت آمـــل أن تســـامرني غـــدا فجلبـــت اصـــناف الأطايـــب للعشـــاء
لنـــروح نطلـــق للحـــديث عنانـــه والوقـــت يـــذهب حيـــث يرغـــب أو يشـــاء
عـــن هـــذه الـــدنيا وكيـــف تكونـــت عـــن غـــابر التـــاريخ مـــن ولـــى وجـــاء
عـــن فـــاتح الـــدنيا موحـــد شـــملها اســـكندر القـــرنين داهـــي الأدهيـــاء
عـــن صـــولة الرومـــان فـــي أيـــامهم وعجائـــب اليونـــان أربـــاب الـــدهاء
ومـــآثر الســـريان فـــي إبـــداعهم وولادة التـــاريخ مـــن حـــرف الهجـــاء
عـــن وقفـــة الأهـــرام تهـــزأ بالفنـــا ومواكـــب الأزمـــان تســـجد فـــي ولاء
عـــن روعـــة الآثـــار فـــي إيطاليـــا ومهـــارة القـــدماء فـــي فـــن البنـــاء
عـــن مصـــرع الثيـــران فـــي اســـبانيا وبراعـــة الإنســـان فـــي ســـفك الـــدماء
عـــن فتنـــة الغابـــات فـــي افريقيـــا عـــن ناطحـــات الســـحب عـــن غـــزو الفضـــاء

***

أســـمير حتـــى بعـــد أن هـــم القضـــاء وعبـــرت أفـــلاك الســـماء إلـــى الســـماء
وبكـــــى أســـــاطين الأســـــاة علـــــيهم مازلـــــت آمـــــل أن تكلـــــل بالشـــــفاء
وتعـــود يـــا زيـــن الشـــباب بصـــحة وتعـــيش ترفـــل بالســـعادة والهنـــاء
وتعـــود تضـــحك مثـــل ســـابق عهـــدنا كـــل النهـــار مـــن الصـــباح إلـــى المســـاء
ونعـــــود نضـــــحك كلمـــــا ذكرتنـــــا بحكايـــة الـــداء الـــوطي مـــع الـــدواء
فرحـــى أبـــا مجـــد فأنـــت حضـــارة أنـــت الشـــباب ودونـــك الـــدنيا بـــلاء
المـــوت يخجـــل أن يجيئـــك ناويـــا أيجـــئ ؟ لا أتـــراه قـــد فقـــد الحيـــاء ؟
وأراك مكتـــوف اليـــدين علـــى الســـرير ووجهـــك الوضـــاح يـــنطح بالضـــياء
وأقـــول فـــي نفســـي لعلـــك نـــائم ولســـوف تـــنهض ضـــاحكا عنـــد الغـــداء

ولســـوف أصـــرخ فيـــك بويلـــك هـــذه ... أقـــوى نكاتـــك يـــا ســـمير مـــراء
ويـــرن فـــي أذنـــي صـــوت نـــوادب ... فـــأفرق الأذنـــين فـــي غضـــب الإبـــاء
وأصـــبح : لا كـــذب النعـــاة فأســـكتوا ... صـــوت الخرافـــة والعجـــائز والنســـاء
وأكـــذب الجمـــرات تحـــرق مهجتـــي ... فتســـيل مـــن عينـــي فـــي نـــاكر ومـــاء
فالقلـــب يهتـــف للحيـــان بـــداخلي ... والله يشـــهد للقيامـــة فـــي الســـماء
حـــي أبـــو مجـــد وهـــا هـــو قـــائم ... يخطـو ويخطـر فـي الـدروب وفـي الفضـاء
لا لـــن يطـــال المـــوت اصـــبع قـــومن ... عـــرف المحبـــة والأخـــوة والإخـــاء
مـــلء العيـــون قعـــوده وقيامـــه ... وقوامـــه فـــي القلـــب يخفـــق كـــاللواء
نســـهر ونـــروح نطلـــق للحـــديث عنانـــه ... والوقـــت يـــذهب حيـــث يرغـــب أو يشـــاء
حتـــى إذا قـــاد الصـــباح مرحبـــا ... قمنـــا نقـــول : إلـــى اللقـــاء إلـــى اللقـــاء
وحـــش أبـــا مجـــد فأنـــت حضـــارة ... الطيـــب أسســـها وعمرهـــا العطـــاء
فرحـــى أيـــا زيـــن الشـــباب وشـــيخهم ... أنـــت الشـــباب ودونـــك الـــدنيا بـــلاء
عـــش أنـــت أغنيـــة تعفهـــا الـــدنى ... عـش وابـق فـي العينـين كـي يبقـى البقـاء
أســـمير لا أرثيـــك عفـــوك إننـــي ... لمـــا ذكرتـــك هزنـــي عـــذب الغنـــاء
المـــوت يخجـــل أن يجيئـــك تاويـــا ... أيجـــئ لا أتـــراه قـــد فقـــد الحيـــاء
المـــوت معـــدوم ودونـــك حجتـــي ... الله فوجـــود إذن مايـــا الغنـــاء
المـــوت أنكـــره ولـــو اعترفـــت بـــه ... كـــل الشـــرائع والمحـــاكم والقضـــاء
أســـمير قصـــتك الغريبـــة دوخـــت ... رأســـي وقلبـــي قـــد تكســـر كالإنـــاء
أمسلســـل هـــذا الـــذي شـــاهدته ... فـــي ظـــرف ســـتة أشـــهر مثـــل الوبـــاء
أم نكتـــة محجوجـــة أم فرحـــة ... قـــد أغضـــبني أشـــعلت فـــي الـــدماء ؟
ســـقراط فـــان وهـــو إنســـان إذن ... النـــاس أجمـــع فـــي النتيجـــة للفنـــاء
علمـــت هـــذا يافعـــا وقبلتـــه
الـــدمات ســـقراط فتلـــك حكايـــة ... مفهومـــة مهضـــومة مثـــل الحســـاء
لكـــن مـــوت الأصـــدقاء, جريحـــة ... نكـــراء تنكـــري المـــروءة والوفـــاء

***

أســـمير يـــا قمـــرا تســـامره ملائكـــة ... الســـماء علـــى المـــودة والصـــفاء
مـــاذا أقـــول إذا وصـــفتك منصـــفا ... أيشـــف لفظـــي الضـــوء روح النقـــاء
إن قلـــت : ضـــوء أنـــت يمـــلأ نـــاظري ... فالضـــوء لفـــظ لا يضـــيئ ولا يضـــاء
تنكـــر الكلمـــات فيخـــل وتنطفـــي ... كتكســـر الأجفـــان مـــن فـــرط العنـــاء
فـــابق فـــي ســـمت الجـــوانح بســـمة ... الإيمـــان ليـــل حزنـــي بـــالعزاء

أو هكـــذا تمضـــي الحيـــاة بســـرعة ؟ أو هكـــذا حتـــى الأحبـــة لانتهـــاء ؟
أو هكـــذا الأيـــام مـــن أعمارنـــا تجـري وتهـرب مثـل أسـراب الظبـاء ؟
أو هـــذه الـــدنيا بكـــل همومهـــا أضـــفات أحـــلام يبـــددها الســـناء ؟
كفـــى رثـــاؤك لســـت أحمـــل وارءه فـــيمن جـــاور الله الرثـــاء
وإذا أبكيتـــك لا غرابـــة فالـــذي أحيـــا لعـــازر هاجـــه مـــر البكـــاء